قلب الأم

مسرحية في فصل واحد

صخر حبش (أبو نزار)

المنظر:

صالة واسعة متواضعة الأثاث... مدخلان الى اليمين يؤديان الى غرف النوم.. الى اليسار مدخل (باب) يؤدي الى الخارج وبجانبه شباك واسع عليه ستائر. سعيد شاب في الثلاثين نحيف الجسم يبدو عليه القلق والاضطراب يروح ويجيء في عرض الصالة بينما تقف والدته مضطربة... يقترب منها.

سعيد: أنت السبب... أنت السبب.. كل المصائب التي أحاطت بي.. من تحت راسك.

الأم: هدئ من روعك يا بني أرجوك... الأمر لا يأهل كل هذا القلق والوهم... كثيرون غيرك حصل معهم هذا ونجحت عملياتهم وخرجوا من المستشفى معافين مسالمين.

سعيد: (بعصبية) أين كنت أنا وهذه المصائب.. كان قلبي أقوى الى قطعة من اللحم العفن.. انهم سيقطعونه غدا ويرمونه للكلاب.

الأم: أرجوك... لا تعذبني فوق ما أنا فيه من عذاب.. انك تظلمني.

سعيد: لقد ظلمتني أنت... منذ سنوات خمس وأنت تقارعين قلبي حتى حطمتيه... قولي.. أي يوم شعرت فيه براحة؟.. قولي أي يوم عدت فيه من عملي فلم أجدك قد تشاجرت معها؟... مع التي اخترتها أنت زوجة لي لم تكن في خاطري وأصررت أنت... انها فتاة طيبة ومؤدبة وتعبت من وصفها لي حتى نفذت رغبتك... يا ليتني ما فعلت كنت على الأقل استرحت من هذا المرض الذي سيريحكم مني ويريحني منكم.

الأم: اذا كنت لا تريدها يا بني.. تخلص منها.. طلقها وسأزوجك من خير منها.

سعيد: (ضاحكا بمرارة) تزوجيني أنت.لا.. لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين... تكفي الحية الرقطاء التي امتصت دمي وفتكت بقلبي.. تريدين تزويجي بعد ان أصبحت تملأ قلبي.. لقد أحببتها رغم انها لا تحبني بصدق.. انها لا تحبني.. ولا تحبك وأنت أيضا لا تحبيني ولا كنت أرحتني من هذا العذاب اليومي بتضحية بسيطة.. ومع ذلك فانا أحبها.. واحبك أيضا.. ووقعتي بين نارين لن يطفئهما غير الله أو عملية الغد.

الأم: لا تكن متشائما يا سعيد.. ستنجح العملية بأذن الله وستعود اليّ سليما معافى.. كلهم يقولون ان الطبيب الذي يقوم بهذه العمليات في منتهى المهارة وانا واثقة بأنك ستخرج من هذه المحنة بسهولة لا تتصورها.. ان قلبي يحدثني بهذا ان قلب ألام لا يخطئ (تظهر نهى) ها هي قد أقبلت... لعنة الله عليها.

سعيد: حتى وانا في هذه الحالة تصرين على تحطيم قلبي... انها زوجتي..

(تدخل الام غرفة نومها) (تقترب نهى وهي فتاة في الخامسة والعشرين تبدو لاهية مستهترة).

سعيد: تعالي نهى.. لقد عرفت ما أنا مقبل عليه.. أليس كذلك؟.

نهى: (بلا مبالاة) اجل.

سعيد: نهى وهل يعني الأمر شيئا بالنسبة لك؟.

نهى: بالنسبة لي... لا شيء.

سعيد: سيان عندك ان عشت أو مت؟.

نهى: (مستغربة) عشت أو مت... عم تتكلم؟.

سعيد: كنت اظنك تعلمين انني سأذهب اليوم الى المستشفى وغدا سيقوم الطبيب بإجراء عملية لقلبي الذي أسكنتك فيه... فيم كنت تفكرين؟... علام كنت تظنينني مقبلا؟.

نهى: كنت اظنها قد أقنعتك ان تطلقني ودفعني كبريائي ان أقول لك ان الأمر لا يهمني.

سعيد: أطلقك.لا.. هل سأحصل على من هي خير منك؟.

نهى: لو كانت الأنثى ملاك وتقابلت مع والدتك لتحولت الى شيطان.

سعيد: انها أمي يا نهى.. أمي لقد تعبت من ترديد هذه الجملة لك كل مرة تشاجرتما فيها أقف حائرا بين حبي لك وحبي لها والان أرجو ان تكونا متسامحتين طيبتي القلب تتركاني اذهب وانا واثق ان ما في قلبيكما من الحقد قد ذهب.

نهى: بالنسبة لي أنا.. لا تهمني الا سعادتك.. اذا كانت هي أمك فعلا وتحب لك الخير والسلام فعليها ان تدعني وشأني حتى لا تضطرني الى الدفاع عن نفسي.

سعيد: أنا واثق ان الخير في قلبيكما. (ينادي) أمي..

(تدخل الام الى الصالة)

الأم: ماذا وراءك؟.

سعيد: تعالي يا أمي.. تعالي جنبي.. انني لا زلت في عمر الشباب.. رم ان قلبي قد هرم وشاخ وانا واثق ان لكما اكبر الأثر في تحطيم هذا القلب وانا واثق أيضا ان مشارط الطبيب ودواءه لن يكون لها ما لكما من تأثير على شفاء قلبي وعودة الحياة الى عروقي بصورة أستطيع معها ان اعبر عن حبي لكما.. والان.. أنا ذاهب الى حيث لا ادري اذا ما كنت سأعود ام لا أرجو ان تصفيا قلبيكما وان تعود الأشعة الخضراء الحالمة تشع من نفسيكما التي عرفتهما أول ما عرفت منذ خمس سنوات وكنت آنذاك احسد نفسي.

أمي.. نهى.. من اجل قلبي ومن اجل حبي لكما... هلا تصافحتما هلا أشعرتماني ان الاطمئنان قد يعود يوما الى هذا البيت.

نهى: يسعدني يا سعيد ان اعبر عما أكنه لك من حب (الى الام) وأنت يا عمتي أرجو المغفرة عما بدر مني من أخطاء تجاهك وانني إذ أقوم لك اعتذاري أرجو ان يصفو قلبك من ناحيتي.

سعيد: هل رأيت يا أمي.. هل رأيت كيف ان قلب نهى قد صفا وأنت؟.

الأم: (تدمع عينيها فتمسحهما) أنا.. أنا يا سعيد.. أنا عجوز قد انتهت حياتها وهي لا تراها الى في حركاتكما وشبابكما.. انني ساترك لكما هذا البيت تسعدان فيه وسأهيم على وجهي حتى لا أكون مصدر إزعاج لسعادتكما. نهى.. ابنتي أوصيك خيرا به.. وأرجو ان تطلبي من الله ان يعيده سالما.

سعيد: لا يا أمي لا أريدك ان تعقدي الأمر.. معنى هذا انك لا تؤمنين بالحب وتتصافى القلوب المحبة اننا يمكننا ان نعيش جميعا في هذا البيت.

نهى: اجل يا أمي.. أنا من ناحيتي لن تجدي مني غير كل خير.

الأم: وانا كذلك يا أولادي.. لكم ما تريدون.. سأبقى.

سعيد: (يحتضنهما) الان اشعر بان قلبي ليس في حاجة الى طبيب.. انني في صحة جيدة.. وان كنت سأذهب الى المستشفى فلأشعركما انني عدت سليما معافى.. ولكن.. أمي.. نهى ان أي خلاف يجد طريقه بينكما.. أي فتنة تندلع ستأخذ قلبي معها. ان حياتي متعلقة بالخيط الذي يربط قلبيكما فاذا انقطع هذا الخيط هوت حياتي في الجحيم.

الأم: لا يا بني.. لا اقسم لك انني لن أتعرض لها بأي شيء لن اسمعها أي كلمة تغضبها أريدك يا بني ان تعيش أريد ان تعيش.. هل ستذهب الان؟.

سعيد: اجل.. وداعا يا نهى.. سأراك بأذن الله (يقبلها من جبينها).

نهى: الى اللقاء يا سعيد صاحبتك السلامة (يخرج سعيد وأمه).

نهى: الى حيث لا رجعة أنت وأمك العجوز.. لقد حطمتما حياتي أرجو ان يريحني الله منكما. وأنت يا عجوز سأريك كاس المرارة (تقترب من الشباك وتصيح) محي.. محي (تهمس) تعلا الان.. لا احد في البيت لقد ذهبا الى الجحيم. (تقف في وسط الصالة تتجه نحو الباب) الان أصبح البيت كله لي وسيأتي حبيبي كل يوم الى هنا ولن تستطيع العجوز ان تفتح فمها لو رأته هنا.. حتى لو رأته نائما معي على سرير ابنها فأنها لن تستطيع ان تتكلم.. وان تكلمت فسيكون من حسن حظي سيموت ولدها غيظا وكمدا وسأصبح ملكا لحبيبي. (يظهر محي عند الباب) محي حبيبي.

محي: نهى حبيبتي.

نهى: لقد صبرنا طويلا.. كان لقاءنا فيما مضى يحيطه الخوف من أعين الناس.. اما الان فلن يخيفنا شيء.. البيت بيتك.. وبعد ان يموت الذي حرمني طعم الحياة سننعم معا بالسعادة.. سيضمنا هذا البيت شرعا.. أليس كذلك يا حبيبي؟..

محي: اجل يا حبيبتي لن أتوانى عن الزواج منك لحظة مادمت طليقة.. أرجو ان ينقشع بما سلبه منك ومن وسادتك.. اما ان يموت أو يغرب عن وجوهنا.. فطلاقك منع سيجمعنا في بيتنا السعيد.

نهى: يا حبيبي لقد أرحت فؤادي.. الان أستطيع ان اعلّم العجوز أمه كيف الحب.. لا أريدك ان تغادر قبل ان تحضر أمه لترانا معا.

محي: ماذا.. لا يمكن.

نهى: هل تخشى شيئا؟.. إياك ان تبالي.. ونرى كيف سأجعلها تخضع لإرادتي.. انني اعرفها واعرف خوفها على حياة ابنها.. ان قلبها شقي.. قلب ألام.. لن أصبح اما في يوم من الأيام لا أريد ان أعيش في حسرة وشقاء.

محي: والان يا حبيبتي.. هلا أعطيتني قبلة اشعر معها بوصولي الى شاطئ الحب.

نهى: حبيبي.. (تقترب منه وتقبله.. تضع يدها في يده وتجره الى غرفة نومها) هنا يا حبيبي.. هنا سيكون عش غرامنا الهادئ هنا تفضل (يدخلان).

(تسمع ضحكات)

صوت **نهى:** لا.. لا.

صوت **محي**: يا حبيبتي.

(سكوت)

(تدخل الام حزينة كئيبة تقترب من غرفة نومها.. ثم تنظر داخل غرفة نوم نهى).

الأم: يا الهي.. ماذا أرى أعوذ بالله.. أعوذ بالله.. يا مجرم.. يا مجرمة.. يا خائنة.. يا قليلة الأصل.. (تدور حول نفسها في الصالة وهي تضرب وجهها بكفيها).

(تخرج نهى وتقف على باب غرفتها واضعة يديها على خصرها في خلاعة).

نهى: ماذا دهاك أيتها العجوز لماذا تفسدين علينا خولتنا لقد انعدم الذوق والحياء عندك.

الأم: أنا يا قليلة الذوق والأدب.. حسبي الله وتعم الوكيل.. أنت خائنة.. مجرمة.. مجرمة.

نهى: ماذا.. مجرمة.. يا سلام هل تظنيني سأنتظر رجوع ابنك الذي لن يعود لأمتع شبابي بين ذراعيه الواهنتين.

الأم: أنت مجرمة.. أنت مجرمة.

نهى: أنا حرة..البيت بيتي وسأحضر الى هنا من أشاء.. أريد ان أمتع نفسي كما كنت تفعلين أنت أيام شبابك.. هل بدأت تغارين مني؟.. ان الشباب لينظروا اليك انهم ينظرون الى أنا.. أنا.

الأم: أنت.. أنت مجرمة.. أنا كنت مثلك.. أعوذ بالله.. هيا اتركي البيت.. هيا.. أنت طالقة.. أنت طالقة.

نهى: ها ها ها.. تطلقيني.. لقد تحولت رجلا أيتها العجوز.. هيا اذهبي واخبري ابنك بما رايته هنا.. هيا اذهبي واخبريه حتى تصعد روحه الى الجحيم أمام عينيك.. هيا اذهبي واخبريه وان استطاع ان يعيش حتى يصل الى هنا فدعيه يرى نفس المنظر الذي رايته أنت.. لقد انتهى ابنك.. لقد انتهى.. انه جيفة وانا لن اقنع به.. وأنت أيتها العجوز اذا تفوهت بكلمة الى احد فأنت تعرفين ما سينجم عن ذلك.. ابنك سيموت غيظا وكمدا.. ستقتلينه أنت ان تكلمت.. هيا ابقي هنا ولا تدعي أحدا يدخل علينا الغرفة هل فهمت.

الأم: يا رب.. أنت أقوى من كل ظالم.

نهى: ادعي من تشائين.. واشمتي كما يحلو لك.. ولكن احرسي باب الغرفة جيدا والا فاني سأذهب الى المستشفى بنفسي لأخبر ابنك بالحقيقة.. وسأحرمك إياه.. هل فهمت.

(تدخل الى الغرفة وتبقى ألام حائرة في الصالة).

الأم: فهمت.. فهمت.. يا رب يا أقوى من كل ظالم.. ماذا افعل أأخبره؟.. أأخبر الناس جميعا اجل.. لابد ان يعرف العالم خيانة هذه الفاجرة.. لابد ان أضع حدا للعبث في شرف ولدي.. شرفي.. لا.. ابني.. انه سيموت لو علم الحقيقة.. ان قلبه الضعيف سينفطر أسى وحسرة. ابني.. ابني.. أريدك ان تعيش.. ولكن.. شرفه.. يعيش.. وما الفائدة.. انه سيضع رأسه في الطين.. ابني.. لا أنا لا أستطيع ان افعل شيئا. يا رب.. أنا ضعيفة.. ضعيفة هلا انتقمت لي يا قوي.. لن أقول شيئا.. لن أتكلم.. لا أريد لولدي الموت أريده ان يعيش.

(تروح وتغدو.. يخرج محي في حياء فتنظر اليه ألام باهتة)

الأم: أنت.. أنت يا محي.. الا تخشى الله.. عرضك يا محي الا تخشى على عرضك يا محي؟..

نهى: ماذا.. أتريدين ان تفرقي بيني وبين حبيبي سأذهب الى المستشفى حالا لأطلب الطلاق.

الأم: (منزعجة).. لا.. لا أرجوك لا تفعلي.. لا تفعلي.. ابني لا تحرميني منه.. أرجوك يا محي قل لها ان لا تذهب.. قل لها.

محي: انها لن تذهب. (يخرج).

نهى: اذا حاولت تنغيص حياتي فاني لن أرحمك.. هل فهمت؟.

الأم: فهمت.. افعلي مت تشائين.. أفوض أمري الى الله.

نهى: الى الله أو الى الشيطان.. لا يهمني.

(تنطفئ الأنوار في الصالة لحظات.. ثم تشع الأنوار ثانية وتظهر نهى خارجة من غرفة نومها متثائبة.. تدخل ألام من الخارج الى الصالة).

نهى: ماذا ورائك يا عجوز.. هل مات؟.

الأم: (تنظر اليها في احتقار ومرارة).

نهى: ماذا.. الا تردين على سؤالي سأعلمك كيف تكون المذلة.. هيا اذهبي وقولي لمحي انني في انتظاره هيا.. ماذا تنتظرين؟..

الأم: حرام عليكي.. حرام.

نهى: حرام.. حلال.. هيا افعلي ما أمرتك به.

الأم: (تتجه ناحية الشباك وتصيح بصوت واهن) محيي. محيي.. محي.. لا احد يرد يظهر انه ليس هناك.

نهى: هيا اذهبي وحاولي طرق الباب فقد يكون نائما.. هيا.

(تخرج ألام) يا سلام عليكي يا دنيا تسعى بقدميها لتحضر عشيق زوجة ابنها.. ان يوم القيامة قد اقترب.. (تشهق خائفة) من... (يظهر سعيد داخلا بتباطؤ) سعيد.

سعيد: اجل سعيد.

نهى: ما الذي جاء بك؟.

سعيد: القدر.. جئت لأضع حدا لعبثك أيتها الفاجرة.

نهى: ماذا تقول؟..

سعيد: ما سمعته.. أين أمي.. أين تلك العجوز التي سكتت عن كل ما رأت.. لقد خدعتماني معا.

نهى: بماذا تخرف؟.. يظهر ان تأثير العملية على عقلك كان شديدا.

سعيد: لست أخرف (تدخل ألام) أنت أيتها العجوز الشؤوم.. كيف رأيت بعينيك عرضي وشرفي يتمرغ في التراب دون ان تخبريني.

الأم: أنا.. لا يا ابني.. لا..

سعيد: لا.. وتصرين على ذلك لقد عرفت الحقيقة.

الأم: الحقيقة.. لن تعرف الحقيقة أبدا لن تعرفها.

نهى: ان ابنك يخرف.. لقد اتهمني في شرفي.. أنا لن أبقى في هذا البيت.. أبدا.. أبدا.

سعيد: (يضحك) الى أين ستذهبين قولي؟..

نهى: الى حيث ألقى الرجل الذي يحترمني ويقدرني.

سعيد: هل تظنين ان محي هو الرجل الذي يلائمك؟..

نهى: محي!!.

الأم: محي!!

سعيد: اجل محي.. لقد جاء الى المستشفى واخبرني بكل شيء.. هل عرفتم كم كنت مخدوعا.

الأم: أخبرك المجرم.. أخبرك.

سعيد: مجرم.. ألانه اخبرني تعتبرينه مجرما.. وأنت التي كنت ترينه ينام على سريري.. ويضاجع زوجتي فلا تخبريني.. ماذا اعتبرك.. لست مجرمة.

نهى: (تحدث نفسها بعد ان تبتعد قليلا عنهم) يا له من حب صادق.. لقد ذهب واعترف له.. أراد ان يقتله النبأ حتى يتزوجني.. انه حبيبي (بصوت مرتفع) محي أخبرك بكل شيء.

سعيد: اجل بكل شيء.

نهى: وهل صدقته؟.

سعيد: سأصدقك أنت.. ما رأيك؟

نهى: هي الحقيقة.. هيا طلقني.. أريد ان أعيش.

الأم: اجل يا بني.. طلقها.. حالا.. حالا.

سعيد: أطلقها.. لماذا.. الم تكوني راضية عنها؟.

الأم: أنا كنت راضية عنها!.. لا يا بني كنت راضية عن نفسي لأني لا أريد لك الموت.. لا أريد ان أعيش وحيدة.

سعيد: من قال لك ان نبأ سخيف كهذا سيقتلني؟..

الأم: كنت أظن ذلك.. كنت خائفة عليك.

سعيد: لا تحزني.ز لقد اخبرني محي بكل شيء.. لقد وصف لي شعورك وأنت ترين الخيانة أمام عينيك ومن اجل حياتي ضحيت بكل شيء.. بشرفي وشرفك.

الأم: ولكن هل تعلم لماذا أخبرك محي؟.. لكي تصاب بنوبة قلبية تموت بعدها فيخلو له الجو مع هذه الفاجرة.

نهى: اخرسي يا عجوز السوء.. اذا لك يكن منك خير لابنك فلمن سيكون فيك الخير؟.. هيا طلقني.. أنا ذاهبة.

سعيد: الى أين؟!..

نهى: الى أين.. الا تدري.. اليه الى حبيبي محي.

سعيد: (يضحك) الى محي.. تقصدين الى السجن.

نهى: السجن.. لا.. محي ليس في السجن انه هنا في البيت (تصيح قرب النافذة) محي.. محي.

سعيد: (يرتفع ضحكه) هيا أيتها الأفعى القذرة هيا اتبعيه.. لقد انتهى عشيقك الى السجن.. لقد ذهب ضحية تفريطه في شرف الغير ضحية خيانته لغيره.. وعبثه بعرض الناس.. لقد وجد عرضه من يعبث به.. أخته صفية وجدها حاملا فقتلها.. قتلها وجاء واخبرني بكل شيء وذهب بنفسه الى السجن.. هل تريدين ان تتبعي صفية؟.. انه الطريق الذي تستحقينه.. طريق الموت يا خائنة.. اما محي فانه لو خرج من السجن فانه سينظر اليك باحتقار.. هيا اخرجي.. هيا أيتها القذرة..

نهى: لا.. لا.. أرجوك.

سعيد: (بتهكم) لا.. ارجوك ولا تريحني اذا أردت البقاء في هذا البيت فدعي أمي التي عرفت جرائمك وكتمت عنها دعيها هي ترضى عن وجودك وان قبلت فسأقبل أنا.

الأم: لا.. لا.. اخرجي.. كنت أريدك ان تعيش.. ان تعيش فقط.. اما الان فأريدك ان تعيش شريفا (يحتظنها)

(تخرج نهى)

ستار